إهـــداء

إلى أصدقاء الزمن الجميل ..

- المهندس أحمد اللاوندى.
- العميد أ. ح عاطف عوف.
- العميد شرطة محمد رزق الشرقاوى.
- الأستاذ طارق شوشة

أهدى هذا الكتاب..

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة
الغرب يغتال عقله!

من حق الغرب الذى تقوده وتتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية أن يزعم أنه حامى حمى الليبرالية والديمقراطية وحقوق الإنسان ومن حقنا نحن فى العالم(غير الغربي) أن نضع هذه المزاعم على المحك العملي.. ونكشف زيف كل ما يقال بشأن القلاع الحصينة التى شيدها الغربيون لحرية الفكر والتعبير.

والمؤلم أن ممارسات الغرب تجاه(الآخر) تتضاد شكلا وموضوعا مع أبسط قواعد الليبرالية، فها هى الولايات المتحدة التى تفرض نفسها سيدا على العالم ترفض أن يمثل جنودها أمام المحكمة الجنائية الدولية بدعوى أن ذلك ينتقص من حقوق الإنسان الأمريكي! لكنها فى ذات الوقت تزج بآلاف الأبرياء من مواطنى الدول الأخرى - دون محاكمة - فى سجون جوانتانامو ولا ترى أن فى هذه الإجراءات اعتداء على حرية الإنسان.. ياللمفارقة!!.

وعندما تحدثت الصحف العربية عن كتاب الخديعة الكبرى لمؤلفه الفرنسى تيرى ميسان الذى يكشف فيه بالأدلة الدامغة عن أن وكالة المخابرات الأمريكية لم تكن غائبة أو بعيدة عن تدبير أحداث١١ سبتمبر قامت قيامة السفراء الأمريكيين فى البلدان العربية وبعث أحدهم – وهو سفير أمريكا فى مصر وقتئذ - بيانا نشرته الصحف إجبارا عما يجب أن ينشر أو لا ينشر ونسى الأمريكيون أنهم بهذا السلوك إنما يذبحون حرية التعبير وينتهكون عرضها عيانا جهارا.

وفى الوقت الذى يتشدق فيه الأمريكيون بعبارات حرية التعبير، وحرية الرأي، وحق الإنسان فى المعرفة يفرضون حصارا مميتا حول ما جرى فى أفغانستان وحرب

تورا بورا وما حدث فى العراق ويخفون حقائق تفقأ العيون حول مئات الآلاف من المدنيين العراقيين الذين سحقتهم الآلة العسكرية الأمريكية فى الفلوجة، والنجف، والبصرة، والرمادي. وغاب عن بالهم أن حرية التعبير بريئة من كل ممارساتهم، ثم ماذا نسمى استهداف مواقع الفضائيات التى كانت تغطى وقائع الاحتلال الأمريكى للعراق.. وإذا لم يكن سجن مراسل إحدى القنوات العربية فى مدريد واعتقال المصور الخاصة بها فى جوانتانامو ضربة فى عنق حرية الفكر واغتيالا حقيقيا لحرية التعبير، وتجسيدا حيا لازدواجية المعايير.. فماذا عساه يكون إذن! والذى يبعث على الحنق والغيظ خصوصا فى قضية الرسوم المسيئة للإسلام ولرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم) أن الغرب يزعم أنه إنما ينتصر لحرية الرأى مع أنه فى أحداث مشابهة يذبح حرية الرأى دون أن يبالي.

وعندما أبدت إسرائيل انزعاجها من نتيجة استطلاع الرأى الشهير الذى تبين منه أن٥٩٪ من الشعوب الأوروبية ترى أن إسرائيل بممارساتها العدوانية تمثل خطرا على الأمن والسلم الدوليين، لم تتردد المفوضية الأوروبية فى تقديم الاعتذار إلى حكومة إسرائيل. وعندما أصدر وزير التعليم العالى الفرنسى جايسو القانون الشهير الذى يجرم أى باحث أو كاتب يعالج(تلميحا أو تصريحا) قضية الهولوكوست لم يبك الباكون فى الغرب على حرية البحث العلمى التى أهدروا دمها.. ولم ينبس أحد ببنت شفه عندما سحبوا من الباحث روبير فوريسون وزميله هنرى لوك لقب دكتور وطردوهما من مواقعهما العلمية فى جامعتى ليون ونانت فى فرنسا عقابا لهما على أبحاثهما فى تاريخ اليهود. وكانت صحيفة لوموند الفرنسية قد مثلت أمام المحكمة بسبب بيان نشره المفكر الفرنسى روجيه جارودى يدين فيه مجزرة قانا ويجرم فاعليها.

كما رفعت جمعية اليكرا اليهودية فى فرنسا قضية على صحيفة الأهرام بسبب مقالة نشرتها على صفحاتها اعتبرها اليهود تمس مقدساتهم التاريخية.

الغريب أن الغربيين لم يعترضوا على ذلك، وأقروا جميع الإجراءات التى يتخذها اليهود ضد من تسول له نفسه أن يناقش (سرا وعلانية) أحداثهم التاريخية. ومرة أخرى نتساءل: أين حرية الرأى المسكينة من كل هذا؟!.. أم أن ما يتعلق باليهود يكون دائما فوق القوانين. أما ما يتعلق بالعرب والمسلمين فترسانة القواعد والقوانين لا يمكن تجاوزها. المؤسف أن وسط غبار هذه المعركة(معركة الرسوم) استيقظت نعرات كثيرة تحرض العالم الغربى على الإعلان عن حرب صليبية جديدة ضد الشرق العربى والإسلامي!

.. فى كل الأحوال لسنا من دعاة التحريض وقد يكون من المفيد كشف الحقائق ليتولى الغرب محاكمة نفسه(بقوانينه) قبل أن نبكى جميعا ـ فى ضوء الاحتقان العام ـ على اللبن المسكوب!.

عن انتحار السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط!

للإنصاف يجب أن نذكر أن العلاقات بين القاهرة وواشنطن لم تكن فى صحة جيدة يوما، فلقد تلقت مصر الصفعات تلو الصفعات فى زمن الرئيس المخلوع، فكلنا يذكر الزيارة الأخيرة التى قام بها الرئيس الأمريكى السابق جورج دبليو بوش إلى مصر وتحديدا إلى شرم الشيخ عندما هرع إلى سيارته مبارك فور هبوطه فى مطار شرم الشيخ الدولى فرفض أن يستقبله مبارك المخلوع وأعوانه.. وكانت إهانة ما بعدها إهانة، لكن أركان النظام السياسى السابق ابتلعتها على مضض ولم تلوى على شيء!!

أيا كان الأمر فإن القول ان المجلس العسكرى هو الذى صعّد الحال مع الولايات المتحدة هو قول فيه تجن لأن أمريكا جورج دبليو بوش لا تختلف عن أمريكا ـ أوباما ـ أما انسحاب البعثة العسكرية المصرية من أمريكا وإلغاؤها لقاءاتها التى كانت مقررة فى الكونجرس لم تكن إلا ماء باردا هبط على قلوب المصريين فقام بترطيبها.. وكان الكثيرون لا يشعرون بالراحة إجمالاً لأن العلاقات الأمريكية ـ

المصرية يجب أن تبنى على الاحترام والندية بعد أن لاحظ الكثيرون أنها كانت تحيل كثيرا لمصلحة أمريكا.

والحق أن الدرس الأول الذى تقوله العلاقات الدولية هو أنه لا صداقات دائمة ولا عداوات دائمة.. وإنما المصالح وحدها هى الدائمة ومن ثم كان طبيعيًا أن تخضع العلاقات بين مصر وأمريكا لهذا الدرس، أى أن العلاقة بين الدولتين ليست من أجل سواد عيون الشعب المصرى أو الشعب الأمريكى وإنما من أجل إرضاء الشعبين حقا.. ومن ثم فإن التلويح بقطع المعونة على نحو ما تفعل أمريكا أو الدعوة بمقاطعتها مصريا سوف تجر وبالأعلى الشعبين والدولتين معا.

فأولا: إن قيمة هذه المعونة هى مليار ونصف المليار دولار وهو مبلغ زهيد إذا ما قورن بالأموال التى سُرقت ونُهبت من مصر طوال الثلاثين عاما الماضية.. على أى حال هذا ما قالته السيدة آشتون مسؤولة العلاقات الخارجية بالاتحاد الأوروبى وقتئذ عندما صرحت بأن إجمالى ما تم نهبه من مصر طوال السنوات الماضية من قبل أعضاء الحزب الوطنى المنحل يبلغ ٥ تريليونات من الدولارات وأكدت أن مصر دولة غنية بثرواتها وأنها يمكن أن تساعد ثلث أوروبا!!

ثانيا: أمريكا تلوح بقطع المعونة وتنسى أن بنود اتفاقية كامب ديفيد تنص على أنها لابد أن تدفع هذه المعونة سنويا إلى مصر.. أى أنها جاءت ضمن النتائج النهائية لإنجاح الاتفاقية.. فإذا لوحت بقطعها اليوم ففى ذلك إخلال بالاتفاقية ومن حق الجانب المصرى أن يرى فى ذلك نهاية للاتفاقية ذاتها.

ثالثا: إننا نعلم أن المعونة الأمريكية لا تُقدم إلى مصر مجانا وإنما مقابل مواقف مصرية تتعلق بإسرائيل ـ الصديق الاستراتيجى الوحيد لأمريكا فى المنطقة ـ وعملية السلام، واستقرار الأمن والأمان فى منطقة الشرق الأوسط. وعبور سفن أمريكية من قناة السويس ليل نهار وهو ما يعنى أن قطع أمريكا لمعونتها عن مصر يجعلها تفقد كل هذه الامتيازات.. وظنى أن أمريكا وقادتها الحاليين أشد وعيًا من اقتراف مثل هذا الإثم العظيم!

رابعا: أن اصواتا مصرية عديدة كانت ولا تزال تنادى بالاستغناء عن هذه المعونة التى نعلم أنها تطلب بها خدمات ومواقف أضعاف ما تقدمه إلى مصر، ناهيك عن أن جزءا منها يتم تحويله - بأمر أمريكا ذاتها - إلى المجتمع الأهلى والجزء الثانى يعمل فيه أمريكيون برواتب خيالية تقررها أمريكا.

أما الجزء الثالث وقيمته١٧٪ فقط منها فيصل - بعد أن يعبث به العابثون من أصحاب الذمم الخربة إلى المواطن العادي.. ومن ثم فان الاستغناء عنها أصبح ضرورة غدا وبعد غد.

خامسا: إن الشعب المصرى بكل فئاته وطوائفه - قد مل هذه الوصاية التى تفرضها أمريكا عليه باسم المعونة! التى لا يصل منها إلا أقل القليل، لذلك فان طلب مصر بقطعها والاستغناء عنها أفضل كثيرا من استمرارها والتلويح أمريكيا بها.

سادسا: إن مبادرة الاستغناء التى رفعها أحد وجوه علماء الدين الوطنيين قد لاقت استحسانا من جانب عدد كبير من الشعب المصرى الذى تفاعل معها ودفع من قوت يومه لكى يحقق ذلك، ولست أنكر أن ذلك يعتبر استفتاء على المجلس العسكرى بالفعل لأنه أعطى تعليماته لبعثته بالعودة من أمريكا وإلغاء مواعيده فى الكونجرس اعتراضا على تلويح أمريكا بقطع المعونة.

سابعا: إن العلاقات المصرية - الأمريكية يجب أن تتحرر من كل من يحاول أن يلوثها.. ولاشك أن هذه المعونة وأعوانها فى أمريكا ومصر من الملوثات لهذه العلاقة التى يجب أن تُؤسس على الاحترام المتبادل.

كلمة أخرى: لقد آن أوان الاستغناء عن هذه المعونة وان تبدأ مصر بالاستغناء لكن علينا أن نعرف أن ذلك سوف يكلفنا مواقف أمريكية - وإسرائيلية معادية لنا فى المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى وحلف الناتو ومنظمة التجارة العالمية، أى أننا يجب أن نعد العدة لذلك منذ الآن فصاعدا.. وهذا من حقنا كدولة مستقلة فى قراراتها.

ثامنا: ليس من تك فى أن المعونة الأمريكية سيف مسلط على سيادة مصر، وهدفه تحجيم إرادة مصر، ومن ثم فإن رفضها أقرب، والاستغناء عنها أوجب مادامت أمريكا تلوى عنق الحقائق وتنظر فقط لهذه المعونة على أنها طوق نجاة لمصر والمصريين وتنسى أنها مادامت توجب على مصر التزامات فهى كذلك تلزم أمريكا بالتزامات أخري.

تاسعا: إننا لا نميل فى هذا التوقيب بالذات - إلى التصعيد مع أمريكا، وأعتقد جازما أنه ليس فى مصلحة أمريكا ذلك، بدليل أن ميزانية العام الجديد قد أقرت الحكومة الأمريكية ما سبق أن التزمت به وهو خاص بالمعونة لمصر.. لكن العلاقات، مع أمريكا يجب أن تكون على الوجه الأمثل، وأن يعرف الشعب المصرى دقائق هذه العلاقات ولعل ذلك ما تنحو إليه القيادة السياسية فى الآونة الأخيرة بمعنى أن هذه العلاقات كانت تتدثر فى أكاذيب وأوهام كثيرة برع النظام السياسى السابق فى نسجها وترويجها وكانت وسائل إعلامه المخادعة تتكفل بالباقي. إن هذه العلاقات فى حاجة إلى تقويم جديد، وأن يكون مفهوما أن لنا فيها مثل ما للآخرين وأن أمريكا هى دولة لها مصالح فى الشرق الأوسط، وأن إسرائيل المتاخمة لحدودنا التى وقعت معنا اتفاقية سلام (برعاية أمريكية) يهمها أن تكون علاقتنا بها طيبة، بمعنى آخر لسنا من أنصار التصعيد مع أمريكا، لأن قطع المعونة هو أضعف حلقة من حلقات هذه العلاقة، وإنما يجب أن نضع مصلحة مصر العليا فوق كل اعتبار. وأن ندرك أن أمريكا سوف نصادفها فى كل المحافل الدولية، ومن ثم فإن استعداءها لن يكون فى مصلحة مصر.

باختصار: لقد لوحت أمريكا بقطع المعونة فووجهت بإصرار شعبى على الاستغناء عنها شكلا وموضوعا، إن هذا يكفى فلقد بلغت الرسالة إلى قادة أمريكا - ومن ثم بات علينا أن نؤسس لعلاقات صحيحة مع أمريكا تقوم بالدرجة الأولى على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة.

وأخيرًا ليس خافيا على أحد أن مصر اليوم تعيش تحديات مرحلة التحول الديمقراطى وهى مشغولة بترتيب البيت من الداخل ومن ثم ليس من الحنكة فتح جبهات جديدة. إذ يكفينا ما لدينا من جبهات داخلية وإقليمية، ناهيك عن مفاجأة المستجدات التى تهبط علينا بين وقت وآخر دون سابق إنذار!

باختصار: أمريكا قد لا تكون صديقا أو ملاكا لكن يجب ألا نوجد منها عدوا أو شيطانا مريدا.. فقط علينا أن نقوم بتشريحها لكى نفهم.

د. سعيد اللاوندى

حدائق الأهرام – القاهرة

obeikan.com